الدار الآخرة

الأدلة على عذاب القبر من القرآن والسنة

الشيخ ندا أبو أحمد

الألوكة
www.alukah.net

الدار الآخرة (١١)

الأدلة على عذاب القبر (من القرآن والسنة)

للشيخ: ندا أبو أحمد

الدار الآخرة

الأدلة على عذاب القبر

تمهيد:

إن الحمد لله - تعالى - نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله - تعالى - من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله - تعالى - وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل مُحدَثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

س: هل عذاب القبر حقيقة أم خيال كما يزعم البعض؟

ج: ذهب فريق من الخوارج وبعض المعتزلة - كضرار بن عمرو، وبشر المريسي - إلى إنكار عذاب القبر، وذهب بعض المُعتزِلة - كالجبائي - إلى أنه يقع على الكفار دون المؤمنين.

لكن نقول: إن عذاب القبر ثابت بالكتاب والسُّنَّة، ومُنْكِرُه زنديق، فيا طالب الحق، المتحري الإنصاف، إليك هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية؛ فألقِ لها سمعك، وأحْضر قلبك، واحمد ربك إذ هداك لما اختلفوا فيه، ووفَّقَكَ لما انحرفوا عنه من الحق المبين، وقل كما قال الراسخون في العلم: {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} [آل عمران: ٧]، وردِّد دائمًا: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: ٨].

أولاً: الأدلة القرآنية على عذاب القبر وفتنته:

قال ابن القيم - رحمه الله - كما في "الروح" (ص: ١٠٢): "إن نعيم البرزَخ وعذابه مذكور في القرآن في غير موضع".

وقد ترجم البخاري في كتاب "الجنائز" فقال: "باب ما جاء في عذاب القبر"، وساق في الترجمة ثلاث آيات:

* الآية الأولى، قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣].

قال الشيخ حافظ حكمي - رحمه الله - كما في "معارج القبول": "وجه الدلالة من هذه الآية أنه إذا كان يُفْعل به هذا وهو محتضَر بين ظهرانَيْ أهله صغيرهم وكبيرهم وذكَرهم وأنثاهم، وهم لا يرون شيئًا من ذلك، ولا يسمعون شيئًا من ذلك التقريع والتوبيخ، ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه، ولا يعلمون بشيء مما يُقاسي من الشدائد، فلأن يُفْعل به في قبره ذلك وأعظم منه ولا يعلمه من كشف عليه أولى وأظهر؛ لأنهم لم يطَّلعوا على ما يناله بين أظهرهم، فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم، ودار غير دارهم؟"؛ اهـ بتصرُّف.

قال ابن القيم - رحمه الله -: وهذا خطاب لهم عند الموت، وقد أخبرت الملائكة - وهم الصادقون - أنهم حينئذ يُجزَون عذاب الهُون، ولو تأخَّر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صحَّ أن يقال لهم: {الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ}؛ اهـ.

يعني يوم موته، وهذا يدل على أن العذاب يكون قبل يوم القيامة، وهنا لا بد للمُخالف من أحد أمرين؛ إما أن يقرَّ بما أخبر الله - تعالى - به في المحتضر، فيلزمه ما ورد في عذاب القبر، أو يَجحد هذا وهذا، فيكفر بتكذيبه لله ورسوله.

الآية الثانية: قوله تعالى: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} [التوبة: ١٠١].

جاء في "فتح الباري" (٣: ٢٣٣): إن هذه الآية تدل على أن هناك عذابَين سيُصيبان المنافقِين قبل عذاب يوم القيامة؛ العذاب الأول: ما يُصيبهم الله به في الدنيا؛ إما بعقاب من عنده، وإما بأيدي المؤمنين، والعذاب الثاني: عذاب القبر.

قال الحسن البصري - رحمه الله -: {سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ} عذاب الدنيا، وعذاب القبر.

وقال الطبري - رحمه الله - في "تفسيره" (٦: ٩ - ١١): "والأغلب في إحدى المرتين عذاب القبر، والأخرى تَحتمِل أحد ما تقدم ذكره من الجوع أو السبي أو القتل والإذلال... أو غير ذلك".

وقال أيضًا: "سنُعذِّب هؤلاء المنافقين مرتين؛ إحداهما في الدنيا، والأخرى في القبر".

قال ابن عباس - رضي الله عنه -: "العذاب الثاني في القبر".

وقال مجاهد - رحمه الله -: "{سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ} بالجوع، وعذاب القبر".

وقال قتادة - رحمه الله -: "عذابًا في الدنيا وعذابًا في القبر، وهو قول الحسن وابن جريج".

* الآية الثالثة: قوله تعالى: {وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٥، ٤٦].

قال ابن كثير - رحمه الله -: "وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور".

وجاء في "فتح الباري" (١١: ٢٣٣): "إن هذه الآية حجَّة واضحة لأهل السنة الذين أثبتوا عذاب القبر، فإن الحقَّ - تبارك وتعالى - قرَّر أن آل فرعون يُعرَضون على النار غدوًّا وعشيًّا، وهذا قبل يوم القيامة؛ لأنه قال بعد ذلك: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر:٤٦].

قال القرطبي - رحمه الله -: "الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ، وهو حجَّة في إثبات عذاب القبر"؛ اهـ.

ففي هذه الآية ذكر عذاب الدارين ذكرًا صَريحًا لا يُحتمل غيره.

* الآية الرابعة: ومن الإشارات القرآنية الواضحة الدالة على فتنة القبر وعذابه قوله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧].

وساق البخاري بسنده إلى البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إذا أُقعد المؤمن في قبره أُتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ})), وأخرجه مسلم أيضًا عن شعبة وزاد فيه: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} نزلت في عذاب القبر.

يقال له: مَن ربك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيِّي محمدٌ - صلى الله عليه وسلم - وذلك قول الله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [إبراهيم: ٢٧].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "المخاطبة في القبر يقول: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وفي الآخرة مثل ذلك".

* الآية الخامسة: قوله تعالى: {فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ * يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ * وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الطور: ٤٥ - ٤٧].

قال ابن جرير - رحمه الله - في "تفسيره" (١١: ٣٦، ٣٧): عن البراء - رضي الله عنه -: {عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ} قال: "عذاب القبر".

وعن قتادة - رحمه الله -: أن ابن عباس كان يقول: "إنكم لتجدون عذاب القبر في كتاب الله: {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الطور: ٤٧].

قال ابن جرير - رحمه الله -: "والصواب مِن القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله - تعالى - أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذابًا دون يومهم الذي فيه يُصعَقون، وذلك يوم القيامة، فعذاب القبر دون يوم القيامة؛ لأنه في البرزخ، والجوع الذي أصاب كفار قريش...".

وقال ابن القيم - رحمه الله - في كتابه "الروح" (ص: ١٠٢)، وفي "الدر المنثور" للسيوطي (٦: ١٢٠): "وهذا يُحتمَل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر؛ لأن كثيرًا منهم مات و لم يُعذَّب في الدنيا، وقد يُقال - وهو أظهر -: إن مَن مات منهم عُذِّب في البرزخ، ومَن بقي منهم عُذِّب في الدنيا بالقتل وغيره، فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ".

* الآية السادسة: قوله تعالى: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة: ٢١].

قال ابن جرير - رحمه الله - في "تفسيره" (٩: ١١٠): قال مجاهد - رحمه الله -: "الأدنى في القبور وعذاب الدنيا".

وقال ابن القيم - رحمه الله - في "كتابه الروح" (ص: ١٠٢): "وقد احتجَّ بهذه الآية جماعة - منهم عبدالله بن عباس - على عذاب القبر، وفي الاحتِجاج بها شيء؛ لأن هذا عذاب في الدنيا يَستدعي به رجوعهم من الكفر، و لم يكن هذا مما يَخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن، لكن مِن فقههِ في القرآن ودقة فهمِهِ فيه، فهِم منها عذاب القبر، فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابَين أدنى وأكبر، فأخبر أنه يُذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدل على أنه بقي لهم من الأدنى بقية يُعذَّبون بها بعد عذاب الدنيا؛ ولهذا قال: {مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى} و لم يقل: ولنذيقنَّهم العذاب الأدنى، فتأمَّله.

وهذا نظير قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((فيفتح له طاقة إلى النار، فيأتيه من حرِّها وسمومها))، ولم يقل: "فيأتيه حرها وسمومها"، فإن الذي وصل إليه بعضُ ذلك وبقي له أكثرُه: والذي ذاقه أعداء الله في الدنيا بعض العذاب الأدنى، وبقي لهم ما هو أعظم منه"؛ "الروح"، (ص: ١٠٢).

* الآية السابعة: قوله تعالى: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} [النحل: ٢٨، ٢٩].

قال العلامة ابن كثير - رحمه الله - في "تفسيره" (٤: ٨٨): "يخبر الله - تعالى - عن حال المشركين الظالمي أنفسهم عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم... وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، ويَنال أجسادهم في قبورهم من حرِّها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم وخلدت في نار جهنم؛ كما قال تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٦]؛ اهـ.

* الآية الثامنة: قوله تعالى: {وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} [الإسراء: ٧٤، ٧٥].

قال الحسن البصري - رحمه الله -: "هو عذاب القبر"، وقال عطاء - رحمه الله -: "هو عذاب القبر"؛ "إثبات عذاب القبر"؛ للبيهقي: (ص: ١٠٣).

* الآية التاسعة: قوله تعالى: {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا} [نوح: ٢٥].

قال الألوسي في "روح المعاني" في تفسير هذه الآية: {فَأُدْخِلُوا نَارًا} "هي نار البرزخ، والمراد: عذاب القبر، ومَن مات في ماء أو نار أو أكلته السباع أو الطير مثلاً أصابه ما يُصيب المقبور من العذاب".

وقال فخر الدين الرازي في "مفاتيح الغيب" (١٥: ٧٥١): "تمسَّك أصحابنا في إثبات عذاب القبر بقوله: {أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا} وذلك من وجهين:

الأول: أن الفاء في قوله تعالى: {فَأُدْخِلُوا نَارًا} تدل على أنه حصَلت تلك الحالة عَقيب الإغراق، فلا يُمكن حملها على عذاب الآخرة، وإلا بطَلت دلالة هذه الفاء.

الثاني: أنه قال: {فَأُدْخِلُوا} على سبيل الإخبار عن الماضي، وهذا إنما يَصدق لو وقع ذلك؛ اهـ.

وقال القرطبي - رحمه الله - في "تفسيره" (١٠: ٦٧٩٠): {فَأُدْخِلُوا نَارًا}؛ أي: بعد إغراقهم.

قال القشيري - رحمه الله -: وهذا يدل على عذاب القبر.

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري - حفظه الله - في "أيسر التفاسير": {فَأُدْخِلُوا نَارًا}؛ أي: بمجرد ما يَغرق الشخص وتخرج روحه يدخل النار في البرزخ.

* الآية العاشرة: قوله تعالى: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ} [الواقعة: ٨٣ - ٩٤].

وقد استدلَّ الإمام ابن القيم بهذه الآيات على عذاب القبر في "كتاب الروح" (ص: ١٠٢، ١٠٣)، فقال: "فذكر ها هنا أحكام الأرواح عند الموت، وذكر في أول السورة أحكامها يوم المعاد الأكبر، وقدم ذلك على هذا تقديم الغاية للعناية؛ إذ هي أهمُّ وأولى بالذِّكر، وجعلهم عند الموت ثلاثة أقسام، كما جعلهم في الآخرة ثلاثة أقسام".

* الآية الحادية عشرة والأخيرة: قوله تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٤].

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي لا يَنطِق عن الهوى مُفسرًا هذه المعيشة الضنك: بأنها عذاب القبر؛ فقد أخرج الحاكم بسند جيد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال في تفسير هذه الآية: ((عذاب القبر)).

قال ابن كثير وقال محمد بن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمر بن علي، حدثني سلمة بن تمام، حدثنا علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "ويل لأهل المعاصي من أهل القبور، تدخل عليهم في قبورهم حيَّات سود أو دُهْمٌ، حية عند رأسه وحية عند رجْلَيه، يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه، فذلك العذاب في البرزخ، الذي قال الله تعالى: {وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون: ١٠٠].

وقال أبو صالح وغيره: في قوله تعالى: {وَمِنْ وَرَائِهِمْ}: "يعني أمامهم".

وقال مجاهد - رحمه الله -: "البرزخ: الحاجز ما بين الدنيا والآخرة".

وقال محمد بن كعب: "البرزخ: ما بين الدنيا والآخِرة، ليسوا مع أهل الدنيا يَأكلون ويَشربون، ولا مع أهل الآخِرة يُجازَوْن بأعمالهم".

وقال أبو صخر: "البرزخ: المقابر، لا هم في الدنيا ولا هم في الآخرة، فهم مُقيمون إلى يوم يُبعثون".

وفي قوله تعالى: {وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ} تهديد لهؤلاء المُحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ؛ كما قال تعالى: {وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ} [إبراهيم: ١٧]، وقوله تعالى: {إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}؛ أي: يستمر به العذاب إلى يوم البعث، كما جاء في الحديث: ((فلا يَزال مُعذَّبًا فيها))؛ أي: في الأرض؛ "تفسير القرآن العظيم" (٣: ٢٥٥).

الأدلة على عذاب القبر من السنَّة النبوية المطهَّرة:

لا بدَّ أن نعلم أن أحاديث القبر مُتواتِرة، وهي أخبار ثابتة توجِب العلم وتنفي الشك والرَّيب، وإنكار المتواتِر كفْر.

ولقد نص على التواتر جَمع من أهل العلم:

١ - قال ابن القيم في كتابه "الروح" (ص: ٧٠): "أما أحاديث عذاب القبر ومساءلة مُنكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي - صلى الله عليه وسلم".

٢ - وقال السيوطي في "شرح الصدور" (ص: ١١٧): "باب فتنة القبر وسؤال الملكَين: قد تواترت الأحاديث بذلك".

٣ - يقول "شارح الطحاوية" - رحمه الله - (ص: ٤٥٠): "وقد تواترت الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملَكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته؛ إذ ليس للعقل وقوف على كيفيتِه؛ لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تُحيله العقول، بل إن الشرع قد يأتي بما تَحار فيه العقول، فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تُعاد إليه إعادةً غير الإعادة المألوفة في الدُّنيا.

٤ - وقال الشيخ حافظ حكمي - رحمه الله -: "وأما نصوص السنَّة في إثبات عذاب القبر فقد بلغت الأحاديث في ذلك مبلَغ التواتُر؛ إذ رواها أئمة السنَّة وحمَلة الحديث ونقَّاده عن الجمِّ الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم: أنس بن مالك، وعبدالله بن عباس، والبراء بن عازب، وعمر بن الخطاب وابنه عبدالله، وعائشة أم المؤمنين، وأسماء بنت أبي بكر، وأبو أيوب الأنصاري، وأم خالد، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وسمرة بن جندب، وعثمان، وعليٌّ، وزيد بن ثابت، وجابر بن عبدالله، وسعد بن أبي وقاص، وزيد بن أرقم، وأبو بكرة، وعبدالرحمن بن سمرة، وعبدالله بن عمرو بن العاص وأبوه عمرٌو، وأبو قتادة،

وعبدالله بن مسعود، وأبو طلحة، وعبدالرحمن بن حسنة، وتميم الداري، وحذيفة، وأبو موسى، والنعمان بن بشير، وعوف بن مالك - رضي الله عنهم.

الأحاديث التي تدل على عذاب القبر:

١ - ولقد ترجم الإمام البخاري في "كتاب الجنائز" لعذاب القبر، فقال: "باب ما جاء في عذاب القبر" عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((العبد إذا وُضع في قبره وتولَّى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملَكان فأقعداه فيقولان له: ما كنتَ تقول في هذا الرجل محمد - صلى الله عليه وسلم؟ فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أَبْدلك الله به مقعدًا من الجَنَّة، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: فيراهما جميعًا[١]، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنتُ أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دَرَيتَ ولا تَلَيْتَ[٢]، ثم يُضْربُ بمِطْرَقَةٍ[٣] من حديد ضربةً بين أذنيه فيَصيح صيحة يسمعها مَن يَليه إلا الثقلين))؛ أخرجه البخاري، ورواه مسلم من طرق عن قتادة بنحوه وزاد فيه.

قال قتادة - رحمه الله -: "وذُكر لنا أنه يُفسح له في قبره سبعون ذراعًا - يعني المؤمن - ويملأ عليه خَضِرًا[٤] إلى يوم يُبعثون"؛ أخرجه مسلم.

---

(١) وقد صحَّ كذلك أن للكافر مقعدين، وفي هذا الحديث دليل على أن لكل إنسان مؤمن أو كافر مقعدين: مقعدًا في الجنة، ومقعدًا في النار، فأما مقاعد الكفار في الجنة فإنها يرثها المؤمنون؛ كما قال تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون: ١٠، ١١].

ونقل ابن كثير - رحمه الله - في "تفسيره" (١٠: ١١١) عن مجاهد - رحمه الله - أنه قال في هذه الآية: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ}: ما عبد إلا وله منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني بيته الذي في الجنة، ويهدم بيته الذي في النار، وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة، ويبني بيته الذي في النار، ورُوِيَ عن سعيد بن جبير نحو ذلك؛ فالمؤمنون يرثون منازل الكفار؛ لأنهم خلقوا لعبادة الله - تعالى - وحده لا شريك له، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة، وترك أولئك ما أمروا به مما خُلِقوا له؛ أَحْرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم - عز وجل؛ اهـ.

(٢) ((لا دَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ)): نقل الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٣: ٢٣٩): عن ثعلب أنه قال: ((أي: لا فهمت، ولا قرأت القرآن، ولا اتَّبَعْتَ مَن يدري)).

(٣) ((ثم يُضرَب بمطرقة)): قال في "لسان العرب": أصل الطرقِ من الضرب، ومنه سُمِّيَت مطرقة الصانع والحدَّاد؛ لأنه يَطْرُقُ بها، أي: يضْربُ بها.

(٤) خَضِرًا: معناه: نِعَمًا غضَّة ناعمة، وأصله من خضرة الشجر؛ قاله النووي في "شرحه على مسلم"، (١٧: ٢٠٤).

وقال - صلى الله عليه وسلم -: ((لولا ألا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمِعكم من عذاب القبر الذي أسمع))؛ أخرجه مسلم.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "كان يعلِّمهم هذا الدعاء كما يُعلِّم السورة من القرآن، قولوا: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المَحيا والممات"؛ أخرجه مسلم.

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إذا تشهَّد أحدكم فليَستعِذ بالله من أربع؛ يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومِن فتنة المَحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال)).

وعند البخاري ومسلم من حديث أنس - رضي الله عنه - أيضًا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((وأعوذ بك من عذاب القبر)).

٢ - وأخرج البخاري عن عائشة - رضي الله عنها -: أن يهودية دخلَت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعَاذكِ الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن عذاب القبر، فقال: ((نعم، عذاب القبر حق))، قالت عائشة - رضي الله عنها -: "فما رأيتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعدُ صلَّى صلاةً إلا تَعوَّذ من عذاب القبر".

وفي رواية مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "دخلتْ عليَّ عجوزان من عُجُز يهود المدينة، فقالتا: إن أهل القبور يُعذَّبون في قبورهم، قالت: فكذَّبتُهما و لم أنعم أن أصدقهما، فخرَجتا ودخل عليَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت له: يا رسول الله، إن عجوزَين من عُجز يهود المدينة دخلتا عليَّ فزعمتا أن أهل القبور يُعذَّبون في قبورهم، فقال: ((صدَقتا؛ إنهم يُعذَّبون عذابًا تسمعه البهائم))، ثم قالت: فما رأيته بعدُ في صلاة إلا يَتعوَّذ من عذاب القبر".

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان بسند صحيح عن أم مُبَشِّرٍ - رضي الله عنها - قالت: "دخل عليَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا في حائطٍ من حوائط بني النجار فيه قبور قد ماتوا في الجاهلية، [فسَمِعهم وهم يُعذَّبون]، فخرَج وهو يقول: استعيذوا بالله من عذاب القبر، قلت: يا رسول الله، وللقبر عذاب؟ قال: إنهم لَيُعذَّبون في قبورهم؟ عذابًا تَسمعه البهائم"؛ حسَّن إسنادَه الألباني في تخريج السنة (٨٧٥)، وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم.

٣ - أخرج الإمام مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "دخل عليَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعندي امرأة من اليهود وهي تقول: هل شَعرتِ أنكم تُفتَنون في القبور؟ قالت: فارْتَاعَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال: ((إنما تُفْتَنُ يَهُودُ))، قالت عائشة: فلبثنا ليالي ثم قال رسول - رحمه الله -: ((هل شَعرتِ أنه أوحي إليَّ أنكم تُفتنون في القبور؟))، قالت عائشة: فسمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعدُ يستعيذُ من عذاب القبر".

وهذا الحديث صريح في أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن أُوحِيَ إليه في شأن فتنة القبر لأهل الإسلام، ثم أُوحِيَ إليه أنَّ أمَّته أيضًا تُفتَن في قبورها.

٤ - وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة أيضًا - رضي الله عنها -: "أن يهودية دخلَت عليها فذكرت عذابَ القبر، فسألت عائشة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن عذاب القبر؟ فقال: عذاب القبر حق، قالت عائشة: فما رأيتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعدُ صلَّى صلاة إلا تَعوَّذ من عذاب القبر".

٥ - وأخرج الإمام أحمد والنسائي بسند صحيح عن أبي بكرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول في أثر الصلاة: ((اللهم إني أعوذُ بك من الكفر وعذاب القبر))، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي.

٦ - أخرج الإمام أحمد عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: "خرجْنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في جنازة رجل من الأنصار، فانتهَينا إلى القبر ولما يُلحَد[1]، فجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجلسْنا حوله كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود يَنكت به الأرض، فرفع رأسه فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر، مرتين أو ثلاثًا".

٧ - وأخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - قالت: "قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطيبًا فذكر فتنة القبر التي يُفْتَن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضجَّ المسلمون ضجة"، زاد النسائي: "حالت بيني وبين أن أفهم كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما سكنَت ضجَّتهم، قلت لرجل قريب مني: أي بارك الله لك، ماذا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آخر قوله؟ قال: ((قد أُوحِي إليَّ أنكم تُفتَنون في القبور قريبًا من فتنة الدَّجَّال))؛ انظر جامع الأصول: (١١: ١٧٠).

---

(١) اللَّحْدُ: هو الشَّقُّ الذي يكون في جانب القبر موضع الميت؛ لأنه قد أُمِيل عن وَسَطِه إلى جانبه، وهذا الشق يكون في مواجهة القبلة.

٨ - أخرج الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم -: "كان يَتعوَّذ من الجُبن والبخل وعذاب القبر".

٩ - وعند البخاري من حديث ابنة خالد بن سعيد بن العاص - رضي الله عنه - أنها سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يتَعوَّذ من عذاب القبر.

١٠ - وأخرج البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو: ((اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومِن عذاب النار، ومِن فِتنة المَحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال)).

١١ - وأخرج البخاري عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: "كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يُعلِّمُنا هؤلاء الكلمات كما تُعلَّم الكِتَابَةُ: اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجُبن، وأعوذ بك من أن أُردَّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر".

١٢ - وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال: "لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول، كان يقول: ((اللهم إني أعوذ بك من العَجز والكسَل، والجُبنِ والبُخل والهرَم، وعذاب القبر، اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير مَن زَكَّاها، أنتَ وَلِيُّها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك مِن علمٍ لا ينفع، ومِن قلبٍ لا يخشَع، ومِن نفسٍ لا تشبَع، ومِن دعوةٍ لا يُستجاب لها)).

١٣ - وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: ((اللهم إني أعوذ بك مِن الكسلِ والهرَم[١] والمأثَم[٢] والمغرَم[٣] ومن فِتنة[٤] القبر وعذاب القبر، ومِن فتنة النار وعذاب النار، ومِن شرِّ فتنة الغِنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك مِن فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسِل عنِّي خطاياي بماء الثلج والبَرد، ونقِّ قلبي من

---

(١) الهرم: أقصى العمر.

(٢) المأثم: الإثم.

(٣) المغرم: الدَّيْن، وقد فسر النبي - صلى الله عليه وسلم - سبب استعاذته من المأثم والمغرم؛ فقال: ((إن الرجل إذا غَرِمَ حدَّث فكذب، ووعَد فأخلف))؛ البخاري ومسلم.

(٤) الفتنة: السؤال والامتحان، وتستعمل كثيرًا بمعنى السوء والشر، فهي امتحان ظهر منه سوء حال المُمتحَن المختبر، وبهذا يظهر معنى الاستعاذة من فتنة القبر.

الخطايا كما نقَّيتَ الثوب الأبيض من الدَّنَس[1]، وباعد بَيني وبين خَطاياي كما باعدتَ بين المَشرقِ والمَغرب)).

١٤ - وأخرج الإمام مسلم عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: "كان نبيُّ الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أمسى قال: ((أمسَينا وأمسى المُلك لله، والحمد لله، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له - قال أراه قال فيهن: - له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ربِّ أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدَها، وأعوذ بك من شرِّ هذه الليلة وشرِّ ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكِبَر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبور، وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: أصبحنا وأصبح المُلك لله))، وفي رِواية أخرى عن مسلم أيضًا: ((اللهم إني أعوذ بك من الكسَل والهرَم وسوء الكِبَر وفتنة الدنيا وعذاب القبر)).

١٥ - وأخرج الإمام أحمد والنسائي عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((اللهم إني أعوذ بك من الكَسَلِ والهَرَمِ، والمغرَم والمأثَم، وأعوذ بك من شرِّ المسيح الدَّجال، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من عذاب النار)).

١٦ - وأخرج الإمام مسلم عن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - في قصة وفاته، وفي الحديث أنه قال: "فإذا أنا متُّ فلا تصحبْني نائحةٌ ولا نارٌ، فإذا دفنتموني فشنُّوا[2] عليَّ التراب شنًّا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تُنْحَر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أُراجع به رُسلَ ربي - عز وجل".

١٧ - وأخرج أبو داود عن عثمان - رضي الله عنه - قال: "كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا فرغ من دفن الرجل، وقفَ عليه وقال: ((استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت؛ فإنه الآن[3] يُسْأل)).

قال العلامة محمد شمس الحق العظيم آبادي في "شرح سنن أبي داود" تعليقًا على هذا الحديث: "وفيه دليل على ثبوت حياة القبر، وقد وردَت بذلك أيضًا أحاديث صحيحة في "الصحيحَين" وغيرهما.

---

(١) الدنس: الوَسَخ.

(٢) الشَّنُّ: هو الصَّبُّ المُتَقطِّعُ.

(٣) الآن: أي بعد حين يسير، بعد انصرافهم وسمعه لقرع نعالهم، كما دلَّت عليه الأحاديث الأخرى، كما يقول الرجل لصاحبه: "الآن آتيك"؛ أي: بعد حين يسير، والله أعلم.

١٨ - أخرج الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إذا قُبِر الميتُ - أو قال: أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرَقان[1] يقال لأحدهما: المنكَر، وللآخر: النكير، فيقولان: ما كنتَ تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبدالله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلَم أنك تقول هذا، ثم يُفْسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم يُنوَّر له فيه، ثم يُقال له: نمْ، فيقول: أرجعُ إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومةِ العَروسِ الذي لا يُوقظه إلا أحبُّ أهله إليه، حتى يبعثَه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يَزال فيها مُعذَّبًا حتى يبعَثه الله من مَضجعِه ذلك))؛ "صحيح الجامع": (٧٢٤)، "السلسلة الصحيحة" ح: (١٣٩١).

١٩ - أخرج الإمام أحمد والبيهقي عن جابر بن عبدالله قال: سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((إن هذه الأمة تُبْتلى في قبورها، فإذا أُدْخل المؤمن قبره وتولَّى عنه أصحابه، جاءه ملكٌ شديد الانتهار فيقول له: ما كنتَ تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: إنه رسول الله وعبده، فيقول له الملك: انظر إلى مَقعدِك الذي كان لك في النار، قد أنجاك الله منه، وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدَك الذي ترى من الجنَّة، فيراهما كليهما، فيقول المؤمن: دعوني أبشِّر أهلي، فيُقال له: اسكن، وأما المنافق فيقعد إذا تولَّى عنه أهله، فيُقال له: ما كنتَ تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، أقول كما يقول الناس، فيُقال له: لا دَرَيْت، هذا مقعدك الذي كان لك في الجنَّة أبدلك مكانه مقعدك من النار))، قال جابر: سمعتُ نبيَّ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: يُبْعثُ كلُّ عبدٍ في القبر على ما مات عليه، المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه".

٢٠ - وعند أحمد أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال: "شهدنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جنازة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((يا أيها الناس، إن هذه الأمة تُبْتلى في قبورها، فإذا الإنسان دُفن وتفرَّق عنه أصحابه، جاءه ملكٌ وفي يده مِطْرَاقٌ من حديد، فأقعده، فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنًا قال: أشهد

---

(١) أزرقان: الزُّرْقَةُ في العين، قال في "اللسان": الزُّرْقَةُ خُضْرَةٌ في سواد العين، وقال ابن سِيدَه في قوله تعالى: {وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا} [طه: ١٠٢]، إنما قيل: {زُرْقًا} لأن السواد يزرقُّ إذا ذهبَت نواظِرُهُم - أي: أبصارهم - اهـ.

أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول له: صدقتَ، ثم يُفتح له بابٌ إلى النار، فيقول: كان هذا منزلك لو كفرتَ بربِّك، فأمَّا إذ آمنتَ فهذا منزلك، فيُفتَح له بابٌ إلى الجنَّة، فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن اسكن ويُفْسح له في قبره، وإن كان كافرًا أو منافقًا يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئًا، فيقول: لا دريَتَ ولا تلَيت ولا اهتدَيت، ثم يُفْتح له بابٌ إلى الجنَّة، فيقول: هذا منزلك لو كنتَ آمنتَ بربك، فأمَّا إذ كفرتَ به، فإن الله - عز وجل - أبدلَك به هذا، فيُفتح له بابٌ إلى النَّار، ثم يَقمعه قمعة بالمِطراق فيَصيح صيحة يسمعها خَلْق الله - عز وجل - كلُّهم غير الثقلين))، فقال بعض القوم: يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحدٌ يقوم عليه ملك في يده مِطراق إلا هِيلَ[1] عند ذلك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧].

٢١ - وأخرَج الإمام أحمد عن أبي قتادة - رضي الله عنه - في قوله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧]، قال: "إن المؤمن إذا مات أُجْلس في قَبرِه، فيقال له: مَن ربك؟ فيقول: الله - عز وجل، فيُقال له: مَن نبيُّك؟ فيقول: محمد بن عبدالله - صلى الله عليه وسلم، فيُقال له ذلك مرات، ثم يُفتَح له باب إلى النار، فيقال له: انظر إلى منزلك من النار لو زغتَ، ثم يُفْتح له باب إلى الجنَّة، فيُقال له: انظر إلى منزلك من الجنَّة إذ ثبَتَّ، وإذا مات الكافر أُجْلس في قبره، فيقال له: مَن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون، فيُقال له: لا درَيت، ثم يُفْتح له باب إلى الجنَّة، فيُقال له: انظر إلى منزلك من الجنَّة لو ثبتَّ، ثم يُفتح له باب إلى النار فيقال له: انظر إلى مجلسك من النار إذ زغت، فذلك قوله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧]".

٢٢ - وأخرج ابن جرير وابن مردوَيه في "الدر المنثور" (٥: ٣٢) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧]، قال: ((ذلك إذا قيل له في القبر: مَن ربك؟ وما دينك؟ ومَن نبيك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيِّي محمد - عليه الصلاة والسلام -

---

(١) هِيلَ: معناه: لا يثبت له في هذا الموقف عقل ولا حَزمٌ، يقال عن الرجل الذي لا حزم له ولا عقل، والهائل من الرمل: الذي لا يثبت مكانه حتى ينهال فيسقط.

جاءنا بالبيِّنات من عند الله، فآمنتُ به وصدقتُ، فيُقال له: صدقتَ، على هذا عشت، وعليه متَّ، وعليه تُبْعث".

يقول الشيخ حافظ بن أحمد حكمي:

وأنَّ كلاًّ مُقعَدٌ مَسؤولُ = ما الرَّبُّ ما الدِّينُ وما الرَّسُول

وعندَ ذا يُثبِّتُ المهَيْمنُ = بثابتِ القَولِ الذين آمنوا

ويُوقِنُ المرتابُ عند ذلك = بأنما مَوْرِدهُ المَهَالك

٢٣ - وأخرج البخاري عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

((إذا أُقْعِد المؤمن في قبره أُتِيَ، ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} [إبراهيم: ٢٧])).

٢٤ - وأخرج البيهقي والحاكم وابن أبي شيبة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((والذي نفسي بيده إن الميت لَيسمعُ خفقَ نعالِكم حين تُولُّون عنه مُدبرين، فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يَمينه، والصوم عن يَساره، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رِجليه، فيُؤْتى مِن قِبَل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخلٌ، فيُؤْتى عن يَمينه فتقول الزكاة: ما قِبلي مدخلٌ، فيُؤْتى عن يساره فيقول الصيام: ما قبلي مدخلٌ، فيُؤْتى من رِجْليه فيقول فعل الخيرات: ما قبلي مدخلٌ، فيقال له: اجلس، فيَجلِس قد مُثِّلت له الشمس قد دنَت للغُروب، فيُقال: أخبِرْنا عمَّا نسألك، فيقول: دَعني حتى أُصلِّي، فيُقال له: إنك ستَفعل فأخبِرْنا عما نسألك، فيقول: وعمَّ تسألوني؟ فيقال: أرأيتَ هذا الرجل الذي كان فيكم، ماذا تقول فيه، وما تشهد عليه؟ فيقول: أمحمدٌ؟ فيقال له: نعم، فيقول: أشهد أنه رسول الله، وأنه جاءنا بالبيِّنات من عند الله فصدَّقْناه، فيُقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك متَّ، وعليه تُبْعث إن شاء الله تعالى، ثم يُفْسح له في قبره سبعون ذراعًا، ويُنوَّر له، ويُفْتح له باب إلى الجَنَّة، فيقال له: انظر إلى ما أعدَّ الله لك فيها، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم تُجْعل نسمتُهُ في النسم الطيب، وهي طير خُضرٌ يعلق بشجر الجَنَّة، ويعاد الجسد إلى ما بدأ من التراب، وذلك قول الله - عز وجل -: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧]))، ورواه كذلك ابن حبَّان، وذكر جواب الكافر وعذابه.

٢٥ – وأخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنه – قالت في حديث الكسوف الطويل: "فلما انصرف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((ما من شيء كنتُ لم أرَه إلا قد رأيته في مقامي هذا حتى الجَنَّة والنار، لقد أوحي إليَّ أنَّكم تُفتنون في القبور مثل – أو قريبًا – من فتنة الدجَّال – قالت فاطمة بنت المنذر: لا أدري أيتهما قالت أسماء – يُؤتى أحدكم فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن – أو الموقن، قالت فاطمة بنت المنذر: لا أدري أيتهما قالت أسماء – فيقول: محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جاءنا بالبيِّنات والهدى، فأجبْنا وآمنا واتَّبعنا، فيقال له: نَمْ صالحًا، فقد علِمْنا إن كنتَ لموقنًا، وأما المنافق – أو المرتاب، قالت فاطمة بنت المنذر: لا أدري أي ذلك قالت أسماء – فيقول: لا أدري سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلتُه)).

٢٦ – وعن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ((إن أحدكم إذا مات عُرِض عليه مقعده بالغداة والعشيِّ[1]، إن كان من أهل الجَنَّة فمِن أهل الجَنَّة، وإن كان من أهل النار فمِن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعَثك الله يوم القيامة))؛ متفق عليه.

٢٧ – وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((إذا وُضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقِهم فإن كانت صالحة قالت: قدِّموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها، أين يَذهبون بها؟ يسمَع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصُعِق"؛ البخاري، يقول ذلك عندما يرى ما ينتظره.

٢٨ – وقال – صلى الله عليه وسلم –: ((إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه، كأن وجوهم الشمس، معهم كفَن مِن أكفان الجَنَّة، وحنوطٌ من حنوط الجَنَّة – إلى أن قال: – فتُعاد روحه، فيأتيه ملكان، فيُجلِسانه، فيَقولان له: مَن ربك؟ فيقول: ربِّيَ الله، فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيقولان له: وما عِلمُك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنتُ به وصدَّقتُ، فيُنادي منادٍ من السماء أن صدَق عبدي، فأفرشوه من الجَنَّة، وألبسوه من الجَنَّة، وافتحوا له بابًا إلى الجَنَّة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويُفسَح له في قبره مدَّ بصرِه، ويأتيه رجل حسَن الوجه، حسن الثياب، طيِّب الريح، فيقول: أبشر بالذي يَسرُّك، هذا يومك الذي كنت توعَد، فيقول له: مَن أنت؟ فوجهك الوجه

(١) بالغداة والعشي: يعني أول النهار وآخرَه.

يجيء بالخير، فيقول: أنا عمَلُك الصالح، فيقول: ربِّ أقم الساعة، رب أقم الساعة؛ حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

وإنَّ العبد الكافر إذا كان في إقبال من الدنيا، وانقطاع من الآخِرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المُسوح، فيَجلسون منه مدَّ البصر - إلى أن قال: - فتُعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيُجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء أن كذَب عبدي، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرِّها وسمومها، ويُضيَّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيحُ الوجه، قبيحُ الثياب، منتنُ الريح، فيقول: أبشر بالذي يَسوؤك، هذا يومك الذي كنتَ تُوعَد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشرِّ؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: ربِّ لا تُقِم الساعة))؛ أحمد وأبو داود والحاكم، وصحَّحه الألباني في "صحيح الجامع": (١٦٧٦).

٢٩ - وأخرج الإمام مسلم عن عوف بن مالك - رضي الله عنه - قال: "صلَّى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على جنازة فحفظتُ من دعائه، وهو يقول: ((اللهم اغفر له وارحمه، وعافِه واعفُ عنه، وأكرم نزله، ووسِّع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقِّه من الخطايا كما نقَّيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنَّة، وأعِذْه من عذاب القبر ومن عذاب النار))، قال: حتى تمنيتُ أن أكون ذلك الميت))، وفي رواية: ((وقِهِ فتنة القبر وعذاب النار)).

٣٠ - وأخيرًا، وعن سمرة بن جندب قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا صلَّى صلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: ((مَن رأى منكم الليلة رؤيا؟))، قال: فإن رأى أحد رؤيا قصَّها، فيقول: ((ما شاء الله))، فسألنا يومًا، فقال: هل رأى أحد منكم رُؤيا؟ قلنا: لا، قال: لكني رأيتُ الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي، وأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يُدخِله في شدقه حتى يَبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شِدقه هذا فيعود فيصنع مثله، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه، ورجل قائم على رأسه بصخرة أو فِهْر[1] فيشدخ بها رأسه، فإذا ضرَبه تَدهدَه الحجَر، فانطلَق إليه ليأخذه، فلا يرجع إلى هذا حتى يَلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا إلى نقب مثل التنور، أعلاه ضيق وأسفله

---

(١) أي: حجر.

واسع يوقد تحته نار، فإذا فيه رجال ونساء عراة، فيأتيهم اللهب من تحتهم، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يَخرجون، فإذا خمدت رجعوا، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقْنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم، وعلى وسط النهر رجل بين يدَيه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فردَّه حيث كان، فجعل كلما جاء ليَخرج رُمي في فيه بحجر فرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصِبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يدَيه نار يوقدها، فصعدا بي الشجرة وأدخلاني دارًا لم أرَ قط أحسن منها، فيها شيوخ وشبان ثم صعدا بي فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل، قلت: طوَّفتُماني الليلة فأخبِراني عما رأيت، قالا: نعم، الذي رأيته يُشقُّ شدقُه كذَّاب يُحدِّث بالكذب فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيُصنع به إلى يوم القيامة، والذي رأيته يُشدخ رأسه، فرجل علَّمه الله القرآن، فنام عنه بالليل و لم يعمل به بالنهار، يُفعل به إلى يوم القيامة، وأما الذي رأيتَ في النقب فهم الزناة، والذي رأيته في النهر فآكل الربا، وأما الشيخ الذي في أصل الشجرة فإبراهيم، والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يوقد النار فمالك خازن النار، والدار الأولى دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل وهذا ميكائيل، فرفع رأسه فرفعت رأسي فإذا قصر مثل السحابة، قالا: ذلك مترلك، قلت: دعاني أدخل مترلي، قالا: إنه بقي لك عمر لم تَستكمِله فلو استكملتَه أتيتَ مترلك))؛ البخاري ومسلم.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: "وهذا نص في عذاب البرزخ، فإن رؤيا الأنبياء وحْيٌ مطابق لما في نفس الأمر"؛ الروح (ص: ٧٨، ٧٩).

وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - كما في "فتاوى العقيدة" (ص: ٤٦٨): "يجاب على مَن أنكر عذاب القبر بحجة أنه لو كشف القبر لوجد أنه لم يتغير بعدة أجوبة، منها:

أولاً: أن عذاب القبر ثابت بالشرع؛ قال تعالى في آل فرعون: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٦].

وفي "صحيح مسلم" أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((فلولا ألا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعَكم من عذاب القبر الذي أسمع))، ثم أقبل بوجهه فقال: ((تعوَّذُوا بالله من عذاب القبر))، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، فقال: ((تعوَّذُوا بالله من عذاب القبر))، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر.

وفي صحيح البخاري ومسلم قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((ويُفسح له في قبره مدَّ بصره))، إلى غير ذلك من النصوص، فلا يجوز معارضة هذه النصوص بوهم من القول، بل الواجب التصديق والإذعان.

ثانيًا: إن عذاب القبر على الروح في الأصل، وليس أمرًا محسوسًا على البدن، فلو كان أمرًا محسوسًا على البدن لم يكن من الإيمان بالغيب، ولم يكن للإيمان به فائدة، لكنه من أمور الغيب، وأحوال البرزخ لا تقاس بأحوال الدنيا.

ثالثًا: إن العذاب والنعيم وسَعة القبر وضيقه إنما يُدركه الميت دون غيره، والإنسان قد يرى في المنام وهو نائم على فراشه أنه قائم وذاهب وراجع، وضارب ومضروب، ويرى أنه في مكان ضيق موحش، أو في مكان واسع بهيج، والذي حوله لا يرى ذلك ولا يشعر به، والواجب على الإنسان في مثل هذه الأمور أن يقول: سمعنا وأطعنا، وآمنَّا وصدَّقنا؛ اهـــ.

وقد مرَّ بنا كلام الحافظ الحكمي - رحمه الله - أنه قال في قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣]: "وجه الدلالة من هذه الآية أنه إذا كان يُفْعل به هذا وهو محتضَر بين ظهرانَيْ أهله صغيرهم وكبيرهم، وذكَرِهم وأنثاهم، وهم لا يرون شيئًا من ذلك، ولا يسمعون شيئًا من ذلك التقريع والتوبيخ، ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه، ولا يعلمون بشيء مما يقاسي من الشدائد، فلأن يُفْعل به في قبره ذلك و أعظمُ منه ولا يعلمه من كشف عليه أولى وأظهر؛ لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم، فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم؟ "؛ اهـــ، بتصرف.

وقال بعض أهل العلم أيضًا: "إن الله - عز وجل - جعل أمر الآخِرة وما كان متصلاً بها غيبيًّا، وحجبَها عن إدراك المكلفين في هذه الدار، وذلك من كمال حكمته، وليتميَّز المؤمنون بالغيب من غيرهم، فأول ذلك: أن الملائكة تتنزل على المحتضر، وتجلس قريبًا منه، ويُشاهِدهم عيانًا، ويتحدَّثون ومعهم الأكفان والحنوط، إما من الجنَّة وإما من النار، ويؤمِّنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر؛ كما قال تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ} [الواقعة: ٨٥]؛ أي أقرب إليه بملائكتنا ورسلنا، ولكنكم لا ترونهم، فهذا أول الأمر، وهو غير مرئي لنا ولا مُشاهَد وهو في هذه الدار، ثم يمدُّ الملَك يده إلى الروح فيقبضها ويخاطبها، والحاضرون لا يرونه ولا يسمعونه، ثم تخرج لها رائحة طيبة أطيب من رائحة المسك، إن كان صاحبها من أهل الصلاح،

أو تخرج كأنتن جيفة وُجِدت على وجه الأرض، إن كان صاحبها من الفُجَّار أو الكُفَّار، والحاضرون لا يرون ذلك ولا يشمُّونَه، وتقول الروح عندما تحمل على الأكتاف: ((قدِّمُوني قدِّمُونِي))، إن كان صاحبها من الأتقياء الأنقياء، أو تقول: ((يا ويلها! أين تذهبون بها؟!)) إن كان صاحبها بخلاف الصنف الأول، ولا يسمع الناس ذلك، فكل هذه من الأمور الغيبية التي أخفاها الله عن المكلفين ليختبرهم بها.

- فإن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنبِ الآخر، هذا في حفرة من حُفَر النار لا يصل حرُّها إلى جاره، وهذا في روضة من رياض الجَنَّة لا يصل رَوحها ونعيمها إلى جاره، وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك، وقد أرانا في آيات قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير، ولكن النفوس مولَعة بالتكذيب بما لم تُحِط به علمًا إلا مَن وفَّقه الله وعصمه.

فإننا نجد النائم في فراش واحد، وهذا روحه في النعيم، ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه، وهذا روحه في العذاب، ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه، وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخَر، وقد قال - صلى الله عليه وسلم - : ((لولا ألا تدافنوا، لدعوتُ الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع))، وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الدجَّال يأتي معه بماء ونار؛ فالنار ماء بارد، والماء نار تأجَّج، وأحاديث الدجَّال صحيحة مُتواتِرة، وهذا أعجب وأعجب.

وقد كان جبريل - عليه السلام - يترل على النبي - صلى الله عليه وسلم - ويتمثَّل له رجلاً، فيُكلِّمه بكلام يسمعه، ومَن إلى جانب النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يراه ولا يسمعه، وأحيانًا يأتي مثل صلصلة الجرس، ولا يسمعه غيره من الحاضرين.

وفي غزوة بدر كانت الملائكة تضرب أعناق الكفار، وتُقاتل مع المسلمين، وهم لا يرونهم ولا يسمعونهم.

وسِرُّ المسألة أن الله - عز وجل - إنما أشهد بني آدم في هذه الدار ما كان منها، فأما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبل عليه الغطاء؛ ليكون الإقرار به والإيمان سببًا لسعادتهم، فإذا كشف عنهم الغطاء صار عيانًا مشاهدًا.

وقال الحافظ - رحمه الله - في "الفتح" (٣: ٢٩٨): "بعد أن ذكَر أن المصنف - البخاري - لم يتعرض هل العذاب على الروح، أو على الجسد أو عليهما جميعًا؟ قال: واكتفى بإثبات وجوده - يعني: عذاب القبر - خلافًا لمن نفاه مطلقًا من الخوارج وبعض المعتزلة؛ كضرار بن عمرو، وبشر المريسي، ومن وافقهما، وخالفهم في ذلك أكثر المعتزلة وجميع أهل السنة وغيرهم وأكثروا من الاحتجاج له".

وذهب بعض المعتزلة - كالجبائي - إلى أنه يقع على الكفار دون المؤمنين، وبعضُ الأحاديث السابقة تردُّ عليهم.

شبهة والرد عليها:

البعض ينفي عذاب القبر استدلالاً بقوله تعالى حكاية عن الكفار والمشركين: {قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس: ٥٢].

قال الشنقيطي في "أضواء البيان" (٦: ٤٨٩ - ٤٩٠): "التحقيق أن هذا قول الكفار عند البعث، والآية تدلُّ دلالة لا لبس فيها على أنهم ينامون نومة قبل البعث كما قاله غير واحد، وعند بعثهم أحياء من تلك النومة التي هي نومة موت، يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ}.

قال ابن كثير - رحمه الله - في "تفسيره" (٣: ٥٣٧): "هذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد، قال أُبيٌّ بن كعب - رضي الله عنه - ومجاهد، والحسن، وقتادة: ينامون نومةً قبل البعث، قال قتادة: وذلك بين النفختين؛ فلذلك يقولون: {مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا}، فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون، قاله غير واحد من السلف".

فيا عجبًا لهؤلاء السفهاء الذين يعتلون منابر التشكيك في قضايا الاعتقاد، فيُنكرون عذاب القبر، كما خرجوا علينا من قبل وكانوا ينكرون الشفاعة ويردُّون أحاديثها مع أنها متواترة قطعية، والدافع لهذا إما أن يكون الهوى أو الجهل.

فأما الهوى: فإنه يضلُّ عن الحق فيأخذ بأصحاب العقول البعيدة عن نور الوحي إلى دركِ الهاوية؛ حيث تأخذهم الفكرة العابرة، وتلعب بعقولهم، وتختمر في أذهانهم، فيخرجون علينا بأفكار هدَّامة مُظلِمة، تصطدم مع نور الوحي، فيطعن في ثوابت الشرع تارة؛ لأن عقله لا يصدِّق ما جاء في الشرع، فتراه مرة يطعن في رواة الحديث كأبي هريرة - رضي الله عنه - أو أنه يرد الحديث على أنه أحاديث آحاد، أو أنه غير مقبولٍ عقلاً، وغير ذلك، والدافع هو الهوى، وأما الجهل: فإنه يوقِع أصحابه في المهالك.

كان سهل - رحمه الله - يقول: "ما عُصِيَ الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل، قيل: يا أبا محمد، هل تعرف شيئًا أشدَّ من الجهل؟ قال: نعم؛ الجهلُ بالجَهلِ"، وهو كما قال: "لأن الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم".

فهؤلاء الذين يدَّعون العلم وهم أجهل من الدَّوَاب، يقول فيهم السيوطي - رحمه الله - كما في "الأشباه والنظائر" (ص: ٢٨، ٢٩): "وكيف يُقاس من نشأ في حجرِ العلم منذ كان في

مهده ودأب فيه غلامًا وشابًّا، حتى وصل إلى قصده، بدخيلٍ أقام سنوات في لهوٍ ولعبٍ، وقطع أوقاتًا يَحترف فيها أو يكتسب، ثم لاحت منه التفاتةٌ إلى العلم فنظر فيه وما احتكم، وقنع منه بتحلة القسم، ورضي بأن يقال: عالم وما اتَّسم"؛ اهـــ.

فعلمُهُم بالدين ضحلٌ، وجهلهم مطبقٌ، ومع ذلك يتكلَّمون في أمور لو كانت على عهد عمر - رضي الله عنه - لجمع لها أهل بدر وفُقهاء الصحابة.

فهؤلاء الذين قال فيهم النبي - صلى الله عليه وسلم - كما في مسند الإمام أحمد وعند الحاكم: ((بين يدي الساعة سُنُون خدَّاعة، يُكذَّب فيها الصادق، ويُصدَّق فيها الكاذب، ويؤتَمن فيها الخائن، ويُخوَّن فيها الأمين، وينطِق فيها الرويبضة))، قيل: وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: ((السفيه يتكلم في أمر العامة)).

فيا أيها الأحبة، عليكم بالعتيق، عليكم بكتاب الله وبسنَّة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بفهم صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتابعيهم بإحسان، ودعْ عنك قول أهل الزور والباطل والبهتان.

قيل لأنس بن مالك - رضي الله عنه -: "يا أبا حمزة، إن قومًا يُكذِّبون بعذاب القبر، قال: فلا تُجالِسوا أولئك".

وبعد، فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة، نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله - سبحانه وتعالى - أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا، وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشَري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثَمَّ خطأ فاستغفر لي.

إن تجد عيبًا فسدَّ الخللا = جلَّ مَن لا عيب فيه وعَلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، هذا والله - تعالى - أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.